

مقدمة

بات مصطلح العولمة من المصطلحات سيئة السمعة بامتياز، لكونه أصبح يمثل التلخيص الفائق الشمول لمصطلحات أخرى متعددة ، تتضمن رؤى وتوجهات وأيدولوجيات متعارضة ومتناقضة ؛ بل وربما متقاتلة.

فمن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، بات مصطلح العولمة يحمل مدلولات تتراوح من الإمبريالية الجديدة ، إلى قوى الاستكبار العالمي ، إلى الغطرسة الأمريكية ، إلى الهيمنة الغربية ، إلى الاختراق الثقافي ، إلى الاستعمار الاقتصادي ، إلى محو الهويات ، إلى تنميط الثقافات ، إلى تجريف الحضارات .. إلى مجموعة عريضة وواسعة من المصطلحات أو التعبيرات ، التي تنتشر وتلقي صداها في أوساط النخب المثقفة وأوساط العامة في المجتمعات المتعددة.

ولعل الأمر اللافت للنظر ، هو أن المصطلح - بما لبسه من مدلولات سلبية في الغالب الأعم أو إيجابية فيما ندر - يفتقر كثيراً إلى التعريف الدقيق في معظم تلك الكتابات والتحليلات التي تعاملت معه.

فرغم كثرة المؤلفات التي تعرضت للعولمة كظاهرة ، إلا أن العقل الباحث عن المعرفة ؛ يُصاب بالارتباك وعدم الفهم عندما يحاول صياغة حصيلة معرفية واضحة حول تلك الظاهرة. فالأمر في أغلبه إما

اشتباك عنيف مع الظاهرة بكل أبعادها ، أو تحالف عميق مع كل آثارها. بما يؤدي إلى عدم القدرة على تكوين إطار نظري رصين يرصد الظاهرة في أبعادها الفكرية والمادية والمجتمعية والإنسانية.

ولعل هذه الدراسة ، تتضمن محاولة متواضعة لعرض محصلة من الأفكار والاتجاهات والرؤى والتحليلات التي انشغلت بالعلومة، ولكن من خلال تفسيرها في إطار نظري يؤسس لرسم ملامح واضحة للعلومة كظاهرة. ذلك أن الظواهر الكبرى نظراً لضخامتها وتشعب امتداداتها قد تشنت جهود رصدها، بما يجعلها تحتاج من حين إلى آخر لربط تلك الجهود في ضفيرة واحدة ، قد لا تخلو بالضرورة من وجهة نظر (مُضفِّرها) أو بالأحرى كاتبها، ولكنها تتضمن تشكياً يبرز بعض من ملامح الظاهرة وأبعادها؛ بما يفضي إلى وضع خريطة لبعض من معالم الطريق ، ربما لا تقود إلا إلى بضعة خطوات منه، ولكنها تساعد على بدء الرحلة وثقل التجربة.

لذلك ؛ فإن الدراسة الماثلة ستعرض للأبعاد الفكرية والمادية والمجتمعية والإنسانية لظاهرة العولمة. بحيث تقترب من أبعادها الفكرية عبر مداخل (تاريخية) و(معرفية) و(فلسفية) لتوضيح الإطار والمضمون الفكري للظاهرة.

كما ستقترب من أبعادها المادية من خلال عرض (مظاهرها) و(مؤسساتها) التي تمارس من خلالها فعاليتها في الواقع المادي.

بينما ستتعرض لأبعادها المجتمعية من خلال جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية؛ التي تمارس أثرها بالسلب أو الإيجاب في بنية المجتمع ، وتمتد بالتأثير إلى الوعي الاجتماعي لجماهيره.

وأخيراً؛ ستعرض الدراسة للأبعاد الإنسانية لظاهرة العولمة ، بما يوضح علاقتها بالإنسان كفاعل في البيئة المحيطة به ومنفعل بها، وكباحث عن المعرفة حول ذاته وحول الكون من حوله.

ولعل مصطلح العولمة بما ناله من سوء السمعة - عن جدارة واستحقاق أو عن ظلم وتجني - قد أصبح يفرض فهماً جماعياً يلقي بظلاله القاتمة مسبقاً على وعي المتلقين لأية دراسة جديدة عن الظاهرة . ولذلك ترجو هذه الدراسة من قارئها أن يحرر وعيه من الأحكام المسبقة ، أملاً في تعظيم قيمة هامة ربما تكون غابت عن حياتنا الفكرية المعاصرة ، وهي : أن النتائج لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال مقدمات منطقية.

دكتور / محمد محفوظ